(٥) اسرائيليات

[١]
دايان ... واللاءات السبع !

حطمت حرب تشرين (اكتوبر) للاسرائيليين خطوطا كثيرة وقواعد عديدة ، ليس اخطرها خط بارليف ، ولا اهمها القواعد العسكرية فوق الارض وتحت سطحها .

وفي محاولة لفهم حقيقة هذه الحرب وابعادها داخل المجتمع الاسرائيلي ، كما تنعكس عبر صحفه واذاعته ومواقف مسؤوليه وسياساتهم ، لا بد من تقديم عرض موجز للنقاط الاساسية التي كانت تشكل مرتكزات الوضع الاسرائيلي ، ثم دراسة مدى صمود هذه المرتكزات امام الواقع الذي تطور الى أن اوصل الى نشوب الحرب ، التي شكلت محطا حقيقيا كشف الحقائق وفصل الحقيقة عن الاوهام ، ليس امام اعين العالم واعيننا فحسب ، بل امام اعين الاسرائيليين انفسهم قبل غيرهم .

١ ــ اولى هذه النقاط كانت تتمثل في التأكيد على قدرة اسرائيل المطلقة ، ليس فقط على تحقيق النصر في أية مواجهة عربية اسرائيلية ، بل على تحقيق النصر الساحق الماحق والسريع كالبرق على جميع الجيوش العربية ، وعلى جيش مصر بشكل خاص .

٢ ــ وثانية هذه النقاط ، كانت تركز على تهديد الدول العربية ، ومصر بشكل خاص ايضا ، بأن أية محاولة من جانبها للبدء بحرب محدودة ، او أي نوع كان من حروب الاستنزاف ، ستقابلها اسرائيل بشدة ، وستحولها الى حرب شاملة .

٣ ــ وثالثة هذه النقاط ، كانت تقول بأن اية حرب جديدة تنشب ، ستكون ــ بفضل بعد خطوط المواجهة عن قلب اسرائيل ومناطقها الاهلة ، وبفضل التفوق المطلق للطيران الاسرائيلي ــ مجرد معارك سريعة يحسمها الطيران بفعالية كبيرة ، وهي ــ اي الحرب ــ لن تستدعي بالتالي دعوة الاحتياط ، او جميعه على الاقل ، وتعطيل سير الحياة الطبيعي في اسرائيل ، ذلك لان الذي يشارك في الحرب الى جانب الطيران ، اعداد محدودة من الدبابات وسيارات الجيب التي ستضم الى المناطق المحتلة مساحات جديدة تبلغ ما يمكن للدبابات والسيارات من وصوله عند اعلان وقف اطلاق النار من جديد .

٤ ــ ورابعة هذه النقاط ، هي تلك التي كانت تراهن ، على انه عاجلا ام آجلا ، ستتغير نظم الحكم في كل من مصر وسوريا ، ويصل الى السلطة « حكام واقعيون » ، يفهمون « الامر الواقع » ويستخلصون منه العبر ، وتكون حرب الايام الستة في حزيران ١٩٦٧ ، هي الحرب الاخيرة .

وفي الساعة الثانية من بعد ظهر السادس من اكتوبر ، بدأت هذه المرتكزات تتحطم الواحدة منها تلو الاخرى . اذ ان اسرائيل عجزت عن تحقيق النصر الساحق الماحق الذي كانت تتحدث عنه ، بل انها عجزت عن تحقيق النصر من اي نوع او اي لون كان ، وتلقت بدل ذلك هزيمة ذريعة وخسائر فادحة ، لم تتمكن عملية الخرق في القطاع الاوسط من جبهة القناة من اخفائها عن اعين الاسرائيليين .

كذلك فان مصر وسوريا سبقتا اسرائيل في جعل المواجهة حربا شاملة ، وجعلتا الحرب تمتد اكثر من سبعة عشر يوما ، لم يكن فيها للطيران الاسرائيلي لا التفوق ولا الحسم .

وقبل أن تتحطم هذه الركائز الاربع ، كانت ــ منذ حرب حزيران ١٩٦٧ ــ تشكل قاعدة قامت عليها سياسة اسرائيل ، وعبرت عنها الصحف الاسرائيلية ، ورمزت اليها بعض الشعارات و« الاقوال المأثورة ! » ، التي كان اولها قول دايان انه يجلس في مكتبه منتظرا رنين الهاتف الذي يتحدث من طرفه الاخر هذا الحاكم العربي او ذاك .

ولحق بهذا القول اقوال عديدة ، من ابرزها قول غولدا مئير أنها تفضل ان يغضب العالم على اسرائيل على أن يبكي عليها ، وقول دايان